براءة الأديان..

من مغالطات التفاسير، وأغراض السياسة ! (*)

جذور العداء في الغرب للإسلام، أبعد كثيرا من رسم مسيء أو شريط فيديو قائم على تلفيق مشاهد منتقاة على آيات قرآنية مجتزأة ومنتزعة من سياقها، بل هو أعرض حتى من لغة وأغراض ومآرب السياسة، وضارب إلى أعماق سابقة فى التاريخ على الحروب الصليبية، وما أشرنا إليه في كتاب جورج بوش الجد الأعلى : محمد مؤسس الإمبراطورية الإسلامية، وله كتاب مغلوط آخر عن رؤيا حزقيال - مجرد طفح لعداء قديم جذوره ضاربة في الغرب لمئات السنين ومنذ بداية انفتاح الإسلام على العالم الذى بدأت موجاته منذ منتصف عهد الراشدين، واتسعت دوائر تأثيره مع الدولة الأموية ثم العباسية، ومثلت الأندلس الإسلامية ما اعتبرته أوروبا رأس جسر لديانة جديدة كان الخوف منها على المصالح قبل الدين الذى اتخذه أرباب المصالح وشاحاً لمعاداتها، مثلما اتخذ من بعد ستارا للحملات الصليبية !

ليست الغاية من البحث في الجذور التحريض على مقابلة العداء بالعداء، فذلك فضلا عن مجافاته لروح الإسلام، محض رد فعل يعيبه ما

---

* الأهرام ٢٠٠٨/٥/١، ٢٠٠٨/٥/١٥

يعيب كل ردود الأفعال من تشنج وصخب ضرير يعطى فرصة للمزيد من المغالطة والتحيف على الإسلام والمسلمين. مقصدى هو محاولة الفهم توطئة لتعامل عاقل لا غاضب. حدثتك سلفا عما قدم به العقاد لكتاباته فيما يقال عن الإسلام من أهمية أن نفهم كيف نبدو في عيون الأغيار، المتجنين قبل المعتدلين والمنصفين، لأن رؤية النفس في مرايا الآخرين تدل على زوايا وأركان ربما مرت أو فاتت علينا بحكم الاستسلام للعادة والاعتياد. ثم إنه لا مناص لمن يريد التصحيح من سلوك سبل الإبضاح والإقناع، حتى وإن التوت النوايا هناك، لأن صدق ووضوح الحقيقة يحرج المغالط بينما يريحه الغضب والانفعال الذى يلويه ليتخذه دليلا على ما يريد الاتهام الجائر به !

كان من أغراض التعرض لكتاب جورج بوش الجد الأعلى الصادر سنة (١٨٣٠) بعنوان : " محمد مؤسس الدين الإسلامى، ومؤسس الإمبراطورية الإسلامية، - الكشف عن بعض مصادر وجذور الكراهية والعداء للإسلام في فكر الغرب الأمريكى بعامة، وفى العرق الممدود في تراث وعقول وفكر أسرة بوش منذ جدها الأعلى، الذى كتب أشنع ما كتب عن العرب والمسلمين والنبى محمد - ﷺ - في الولايات المتحدة.. فهو عنده " دعى " و " مدع " و " مؤسس " ديانة، وليس " رسولا نبيا "، وهو والإسلام ــ هكذا يرى ! ــ أكذوبة كبرى غزت العالم بالعنف والسيف والخديعة، وبلغ من تطاوله أن وصف رحلة الإسراء والمعراج بأنها تصورات وخيالات صبيانية، وأن محمداً - ﷺ - خدع السذج من أتباعه بهذه القصة الملحمية الغبية، وأن ما فيها من سخف - على حد تعبيره ! - أدى

إلى تخلى عدد من أتباعه عنه، وأن صديقه أبا بكر هو الذى خلصه - هكذا ! - من هذه " الورطة التعسة " !!

على أن هذا الكتاب على ما فيه من تطاول آثرت لاعتبارات وطنية كثيرة - أن أكفى القارئ عناء الاطلاع على ما فيه من غثاء وتهجم وقح على رسول القرآن عليه السلام - فإنه لم يكن كل ما كتبه هذا الجد الأعلى المجبول على كراهية الإسلام ورسوله، فله كتابات أخرى في ذات السياق، أخطرها والأكثر كشفا عن مراده ومراد هذه الفلسفة الملبوسة.. كتابه الذى ترجمه للعربية أيضا وحققه وعلق عليه الأستاذ العلامة الدكتور عبد الرحمن عبد الله الشيخ. صدرت طبعته الأولى بالإنجليزية في نيويورك سنة (١٨٤٤) بعنوان :

- The Vally of vision Or The Dry Bones of Israel revived

أى " وادى الرؤيا : إحياء رميم عظام إسرائيل ".. ترجمه ونشره الدكتور عبد الرحمن عبدالله الشيخ بعنوان : " وادى الرؤيا : في تفسير رؤيا حزقيال أو إحياء عظام بنى إسرائيل. هل يتحول اليهود للمسيحية كشرط لعودة المسيح " ؟!

فى هذه الفقرة الأخيرة بالعنوان العربى، يتمحور غرض وهدف مؤلف الكتاب الذى يناهض فكره كثيرون من كتاب الغرب الأمريكى والأوروبى، وكذا البابا شنودة الثالث بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية في ندوة عقدت في نيويورك ناقض فيها هذا التفسير المغلوط لرؤيا حزقيال وغيرها من الرؤى، ونشرت في جريدة الأهرام في ٢٠٠٣/٨/٢٦.

في كتابه : " محمد مؤسس الدين الإسلامى ومؤسس إمبراطورية المسلمين " يتبنى جورج بوش الجد الأعلى، أن محمدا - ﷺ - هو " إنسان

الخطية " الذى يظهر ويستعلى قبل المجيء الثانى للمسيح عليه السلام !، ويعتبر بوش " الارتداد " الذى يسبق هذا المجيء الثانى للمسيح - هو انتشار الإسلام، ويعتبر جلوس " إنسان الخطية " في هيكل الله - هو فتح المسلمين للشام وللقدس خاصة حيث الهيكل.. ويتوقع وضائفته الدينية عند بداية كل ألفية مجيء المسيح ثانية وعودة المسلمين إلى المسيحية ودخول اليهود في المسيحية !

تتضح أغراض جورج بوش الجد الأعلى، في ملاحق كتابه الأول " محمد مؤسس الدين الإسلامى والإمبراطورية الإسلامية " - التى ضمت فيما ضمت تفسيره المغلوط الملبوس لرؤيا دانيال ورؤيا يوحنا اللاهوتى، كما تتجلى في كتابه الثانى : " وادى الرؤيا.. إحياء رميم عظام إسرائيل "، الذى ضم تفسير بوش الجد لرؤيا حزقيال، وهذا الكتاب من أبرز محطات الصهيونية الأمريكية الداعية إلى ضرورة العمل من أجل تجميع يهود العالم في فلسطين وتدمير " إمبراطورية السارازان " !. و " السارازان " هو الاسم الذى كان يطلقه الصليبيون وأوربيو القرون الوسطى على العرب والمسلمين، وكان الرومان يطلقونه على بعض رعاياهم تحقيراً لهم !

تتضح أغراض السياسة، في الملحق الأول الذى أضافه جورج بوش الجد الأعلى لكتابه عن " محمد " - ﷺ -، فيعتسف فيه تفسيراً غريبا ومغلوطا لنبوءتى دانيال ويوحنا اللاهوتى. يبدأ بنبوءة دانيال الواردة بالعهد القديم الذى امتد وضعه قرابة ألف عام، واستغرق جمعه نحو ألف عام أخرى من سنة ١١٠٠ - ٢٠٠ ق م. ينتزع منه بوش رؤيا لدانيال الذى ذكرت دائرة المعارف الكتابية أن وضع سفره في القسم الثانى للأسفار

القانونية في الكتاب المقدس العبرى - كان على الأرجح لأنهم لم يعتبروه " نبيا "، بل كان بالحرى " رائيا " أو " حكيما " (ج/٣ - ص ٣٨٨).. ويذكر سفر دانيال نفسه أنه كان واحداً من النسل الملكى في يهوذا، ومن الشرفاء الذين أخذهم نبو خذ نصر (٦٠٥ ق.م) إلى بابل. بيد أن بوش يمضى مع الرؤيا أو الحلم الذى رَوَى دانيال أنه رآه (الأصحاح ٨ : ٨ ــ ٢٦)، تحدث فيه عن " تيس " و " قرن عظيم " و " قرن صغير "، ورواية رآها في المنام، ليسحبها بوش أكثر من ١٥٠٠ سنة ويجتزها من الأسر البابلى ليطبقها على الإسلام ورسوله، وألف سنة أخرى ليطبقها على الواقع المعاصر.. ويتجاهل في تفسيره الغريب كل منطق، ويخالف وقائع التاريخ، ليقفز إلى نبوءة أغرب من الخيال، أن المسلمين بعد إزاحة حكامهم المتسلطين، سيتركون دين " الدعىّ " محمد - كذا ! - إلى الدين الحقيقى ! يفسر الرؤيا أو المنام بأن القرن الكبير الأول (قرن الكبش) هو مملكة الإسكندر، وأن القرن الصغير يشير إلى الدين المحمدى - هكذا يفضل تسميته ! وأن " فخر الأراضى " أو " زينة الأراضى " مقصود بها أرض يهوذا أى فلسطين، وأن شاهد صدق النبوءة - حسب تفسيره - أن " الدعى " العربى - كذا ! - حصل على درجة من التوقير مساوية لما يحظى به يسوع المسيح، بل ورفع نفسه عليه درجة حين جعله مجرد نبى واحتفظ لنفسه وللقرآن بمكانة أوفر.الدين الإسلامى في تفسيره هو : ".. هرطقة محمد ".. ينسب إليه فى اجتراء غشوم أنه - ﷺ - أطاح بالطقوس السابقة وبرموزها ومذابحها.. وأن ما تنبأ به القديس بولس عن " رجل الخطية " يشير إلى ما أسماه " الخداع المحمدى " !.. ولذلك الغرض يلوى بوش الآيات القرآنية الواردة على لسان يوسف

عليه السلام فينسبها إلى لسان " محمد ".. ليطلق عليه أنـه - ﷺ - هـو مؤلف القرآن " !!

* * *

بذات الملحق الأول لكتاب " محمد مؤسس الدين الإسلامى "، ينتقل بوش الجد الأعلى من سفر دانيال في القرن السابع قبل الميلاد، إلى رؤيـا يوحنا اللاهوتى الذى كتب إنجيله في أرجح الروايات بعد أكثر من تـسعين عاما من رفع السيد المسيح. أما الرؤيـا التـى تـصدى الـواعظ بـوش لتفسيرهـا على هـواه، فضمن رسائل يوحنا اللاهوتـى بالعهـد الجديد (الأصحاح ٩ : ١ - ١٩).. ورد بها نفخ ببوق، وكوكب سقط من الـسماء إلى الأرض، وهاوية أُعْطِيَ مفتاحها للنجم الساقط.. يصعد الـدخان مـن بئرها وأتونها العظيم، ويخرج منها جراد على الأرض شكله كشكل الخيل المعدة للحرب، على رءوسها أكاليل، ولها أذناب شبه العقارب، ولها ملاك الهاوية، والويل الواحد مضى، يأتى بعده ويلان، ثم نفخ الملاك الـسادس بالبوق، وانفك أربعة ملائكة لكى يقتلوا ثلث الناس، والخيـل والجالـسون عليها لهم دروع نارية تخرج النار والدخان والكبريت من أفواهها !

يلوى بوش الجد الأعلى هذه الرؤيا ليسحبها على الإسلام والعرب، فهم الجراد وزعيمهم (محمد) هو المبيد !.. والكوكب الذى سـقط مـن السماء وأُعْطِيَ مفتاح الهاوية يرمز دينيا لظهور " الدعى" العربى - كـذا !.. أما سقوط النجم قبل ظهوره فيشير إلى شخص " آريوس " وغيره مـن الهراطقة وارتدادهم عن الحق الذى جازتهم العناية الإلهية عنـه بظهـور

الإسلام : " ذلك الدين المدمر المخادع " !!!..لا يدع بوش الجد الأعلى سبيلا لتزييف التاريخ والحقائق إلاّ سلكه ليستقيم له التفسير المغلوط الذى تبناه !

هذا التفسير رأينا من يسحبه على غزو العراق، فتصدى لهذه الترهات الدكتور القس أندريه زكى في مقال نشره الأهرام ٢ مايو ٢٠٠٣، كشف فيه القس ابن الكنيسة الشرقية هذه المغالطات والأراجيف، فقال : " من الناحية اللاهوتية تفتقر هذه الحرب إلى أسانيد لاهوتية تدعم مبرراتها.. فاللجوء إلى نبوءات سابقة قد تحققت عبر التاريخ، ولم يعد لها مكان في مستقبل الإنسانية - أمر خطير، واستدعاء هذه النبوءات في ظروف تاريخية معاصرة، لا يخدم سوى الجماعة التى استدعتها. ويجهض المعنى الحقيقى لهذه النصوص النبوية ويفرغها من واقعها التاريخى وخلفيتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية إلى محاولة استخدام النص الدينى في ظرف تاريخى مغاير، يجهض البعد التاريخى لهذا النص، ويحرم قراءه من الاستفادة من خبرته التاريخية. ومن الجانب الآخر. فإن استدعاء الله في هذه الحرب. هو أمر مثير للتساؤل. إن إعادة تفسير النصوص بعيدا عن سياقها، واستحضار كل طرف للإله وفق رؤياه هى توجهات ذات صبغة دينية تستخدمها الجماعات والشعوب بهدف اختلاق شرعية لحرب تفتقر إلى بعد أخلاقى ورؤية إيمانية.. هذه الحرب تفتقر إلى مبررات أخلاقية ولاهوتية " !

بيد أن استحضار الإله، وسبقه إلى ما يريد، بل والمصادرة عليه - هو ديدن الواعظ مدرس العبرية جورج بوش الجد الأعلى.. ففى كتابه الثانى : " وادى الرؤيا، فى تفسير رؤيا حزقيال أو إحياء رميم عظام

إسرائيل ".. ينتقل المؤلف خطوات واسعة ليرسم برؤيا أو منام حزقيال حلم تجميع اليهود فى أرض فلسطين تمهيدا وانتظارا للمجىء الثانى للسيد المسيح عليه السلام.. الرؤيا فى سفر حزقيال بالعهد القديم، الأصحاح ٣٧ : ١ - ١٤.. أما حزقيال نفسه فكان معاصراً للأسر البابلى، وتذكر دائرة المعارف الكتابية (جـ ٣ ص ٧٢ وما بعدها) - أنه حزقيال الكاهن (بن بوزى) وأنه أُخِذَ إلى السبى البابلى من أكثر من ٢٥٠٠ سنة.. وأن نبوءاته بدأت فى السنة الخامسة من سبى يهويا كين الملك (حزقيال ١ :٢) واستمرت حتى السنة ٢٧ من السبى(حزقيال ٢٩ : ١٧)، أى تنبأ فى الفترة ما بين (٥٩٣ - ٥٧١ ق. م) وأن السبى الذى أخذ إليه حزقيال سنة ٥٩٧ ق. م كان حادثا عميق الأثر فى مصير الشعب الإسرائيلى وفى علاقات حزقيال الشخصية. واختلفوا فى نبوءاته، فلاحظ البعض أن عددها كبير جداً وشديدة التعقيد، ولا تعبر عن خبرات واقعية، وإنما صور أدبية، ولم يقبل آخرون هذا التنظير واعتبروه خطيراً، بينما نقلت دائرة المعارف الكتابية عن معاصريه أنهم عرفوا له قدره من الناحية الجمالية على الأقل، وأنه كثيراً ما يوصف اليوم بأنه : " من أعظم الشعراء " " رائع الخيال " تبدو قوته فى صوره المجازية ".

ما علينا. اختار جورج بوش، الجد الأعلى، الرؤيا المروية بسفر حزقيال ٣٧ : ١ - ١٤. وهى تصور عظاماً يابسة بغير عد فى بقعة غير محدودة المكان، جعله الرب يرى كيف يجمعها بقدرته لتتقارب عظمة عظمة، وكيف كساها سبحانه عصباً ولحماً وجلداً، وكيف هبت عليها - فيما يروى حزقيال - روح من الرياح الأربع فتحيا - وأن هذه

العظام التى انتصبت جيشاً عظيماً جداً جداً، هى جملة شعب إسرائيل، ليعلموا حين تفتح قبورهم أن الرب قد تكلم وفعل.

هذه الرواية تكاد تقابل ــ فيما عدا الشطر الأخير المقحم لشعب إسرائيل، ما رواه القرآن المجيد فى سورة البقرة.. يقول تبارك وتعالى : " أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَـذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " (البقرة ٢٥٩).

ويلحظ القارئ للآيات القرآنية، أنها لم تورد أسماء لأماكن أو أشخاص، وأن العبرة المستقطرة منها تنصب على قدرة الخالق عز وجل على إحياء الموتى - أى موتى، وأن المثل المضروب لمن أميت مائة عام ثم أحياه الله هو لبيان كيف تمثلت أمامه قدرة الله تعالى وهو يرى كيف صار حماره عظاماً ولم يصب طعامه وشرابه عفن، ويرى كيف يضم الله تعالى بقدرته هذه العظام البالية ويكسوها لحماً، لتبين له وللناس كيف أنه سبحانه وتعالى على كل شىء قدير.

أما رؤيا حزقيال التى اختلفت صياغاتها العبرية عن اللاتينية عن اليونانية عن العربية عن الإنجليزية بسبب قدم العهد القديم الذى وضع على مدى قرابة ألف عام وجمع فى نحو ألف عام أخرى من ١١٠٠-٢٠٠ ق.م، ووردت على نصه العبرى ترجمات متراكبة متعددة، فإن التفاسير والنقاد قد اختلفوا فى شأن الرؤى العديدة والمعقدة التى رواها حزقيال، واختلفوا

أيضاً فى شأن هذه الرؤيا.. أما تفسير بوش الجد الأعلى فيلوى هذه الرؤيا لرجل بنى إسرائيل الموجهة أساساً إلى اليهود المسبيين فى بابل (فى القرن السادس قبل الميلاد) مواسية ومبشرة بالخلاص من السبى البابلى، وهو ما أكده البابا شنودة الثالث فى حديثه للأهرام ٢٠٠٣/٨/٢٦، بيد أن بوش الجد الأعلى يخالف كل معقول ليسحب هذه الرؤيا على العصر الحاضر بعد ما يزيد على ٢٥٠٠ سنة.. يتخذ منها وغيرها، سلماً لتفسيرات سياسية لرسم خريطة الكرة الأرضية على هواه !

وكما يلفق بوش الجد تفسيراً مغلوطاً لرؤيا حزقيال ونبوءة إشعيا تبشيراً بالتجمع اليهودى فى فلسطين، يعود إلى ذات النمط التلفيقى المغلوط فى نبوءات إرميا الذى عاصر نبوخذ نصر وأطلق نبوءاته فى فترة اتسمت بالخراب والسقوط فى يد بابل سنة ٥٨٦ ق. م، بيد أن بوش الجد الأكبر ينتزع أحاديث إرميا من سياقها وظروفها ومن الخلاص من السبى ليربطها بدولة يبشر بأنها ستقوم فى فلسطين بعد أكثر من ٢٥٠٠ سنة.. بينما نرى الباحث مونتجمرى وات يشهد بأنه قد صار بين رجال الدين بالفاتيكان من أدرك - بعد البحث العميق - أن محمداً - ﷺ - هو نبى مرسل من الله على نحو ما، وأن القرآن الكريم وحى إلهى بشكل أو بآخر، ولينكشف الغطاء عن الفكر الملبوس الذى تبناه الواعظ مدرس العبرية جورج بوش الجد الأعلى فى كتابيه !

ليس صعباً على أى مراقب أن يربط بين هذا الفكر القديم الملبوس، وبين عبارات قيل إنها أفلتت من الحفيد بغير عمد - عن حرب صليبية جديدة، وبينها وبين سياسات تتجسد كل يوم فى اتجاه لا تخطئه عين، ولا يمكن أن تعزى لانفلاتة غير مقصودة، فآية هذا القصد - المشاهد الجارية

فى إطار مخطط شامل ينفذ على خطوات بدءاً مـن أفغانـستان، وتثنيـة بالعراق، وتثليثا بخطوة أخرى لم يعد التدبير لها خافيا، ضمن رؤية منسوبة لإدارة ما يسمى بالمحافظين الجدد أو السلفية المسيحية الـصهيونية التـى تبشر بأن من أمارات المجيء الثانى للمسيح، تحول اليهود إلى المـسيحية، وتجمع الجميع فى فلسطين ! فهل انكشف المستور وتجلى المـراد القـديم الممدود من هذا الفكر الملبوس ؟!!